أقواس

كتاب هيَّأ الطريق للفوز بجائزة نوبل

(المرأة في ادب نجيب محفوظ) كتاب متميز فيه رصانة وجدية من تاليف الدكتورة المصرية (فوزية العشماوي) يتعرض بدقة لمظاهر تطور المرأة في مصر المعاصرة من خلال روايات نجيب محفوظ المنشورة في الفترة بين ١٩٤٥ - ١٩٦٧م كانت المؤلفة قد قدمته في بأدئ الامر كرسالة دكتوراة لجامعة جنيف بسويسرا عام ١٩٨٣م حصلت بها على درجتها العلمية بعد ان توفرت لتلك الدراسة (كل جوانب النجاح ومتطلبات البحث العلمي والاكاديمي) .

وتلك الدراسة الرصينة للعشماوي قدمتها الكاتبة للجامعة بالفرنسية ثم وضعتها فيما بعد في (كتاب) يطلع عليه القارئ الاوروبي وموجهة للقارئ الفرنسي بوجه خاص .. ثم عملت المؤلفة على ترجمة الكتاب بعد زمن الى اللغة العربية وهي ترجمة تطلبت منها جهداً مضنياً على الرغم من امتلاكها لناحية كل من اللغتين اذ كان عليها ان (تستغني عن التفاصيل التي لزمت الطبعة الفرنسية لتعين القارئ الفرنسي على قراءة الكتاب) .

والكتاب كما قيل قطع رحلة طويلة ليصل الى قراء العربية استغرقت مايقارب عشرين سنة من (٨٣ - ٢٠٠٢م) وبالرغم من طول الرحلة الا ان الكتاب مايزال مطروحاً في الدوائر الفكرية والاجتماعية باعتباره موضع جدل مازال محتدماً حتى هذه الساعة .

تشير الدكتورة فوزية العشماوي في تقديمها ترجمتها العربية لكتابها الى ان رسالتها موضوع هذا الكتاب كانت اول رسالة دكتوراة تناقش في جامعة اوروبية عن نجيب محفوظ وان الكتاب من الكتب الاوائل المبكرة التي صدرت بالفرنسية عن محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل في العام ١٩٨٨م ولكنها تمسك - تواضعا - كما يقول الكاتب رجب سعد السيد الذي قام بعرض وتحليل الكتاب عن اي اشارة الى احتمال ان تكون دراستها العلمية الجادة والقيمة وكتابها في طبعته الفرنسية قد اسهما بدرجة اوباخرى - في تمهيد طريق نجيب محفوظ الى (نوبل) وان كانت الدكتورة فوزية العشماوي تشير في مقدمة الكتاب الى انها بحسها الادبي وبحكم تواجدها بالاوساط القريبة من مركز منح الجائزة قد تنبأت لمحفوظ في لقاء لهما بالعام ١٩٧٩م بانه سوف يحصل على تلك الجائزة رفيعة الشأن اخيراً يمكن القول ان كتاب الدكتورة فوزية العشماوي قد اسهم في التعريف بشخص نجيب محفوظ لان الكم المطبوع من رواياته لم يكن منشوراً بالقدر الكافي بالنسبة (لاوروبا) بمعنى آخر ان هذا الكتاب قدم فرصة ثمينة جداً للجنة نوبل في ترشيح نجيب محفوظ للهيئة الدولية في المجتمع الدولي وهذه كلمة صادقة يحق المؤلفة الدكتورة فوزية العشماوي .

شفاء منصر

معشوقتي كل صباح

بمناسبة الذكرى ٣٨ لتأسيس
صحيفة ١٤ اكتوبر الغراء

عوض سالم باسويدان

صديقتي ورفيقة دربي
يانبراس فكري ..
ما إن أفارقك يوماً
الا واشتاق اليك اكثر
واذا اشرقت شمس يوم جديد
يتجدد موعدنا
كي أنسلك نسلا !!
ومع كل نسلة
يتوهج قلبي عشقاً وألقا
معشوقتي .. في كل صباح
يرتوي نبت فكري
من فيض مشارب ينبوعك
أنتي لفكري ..
الماء
الضوء
الهواء
فطبت لي أينما اكون
معشوقتي يارفيقة دربي
هنيئاً لك كل عام عيدك
نطفئ شموعاً ونقيد اكثر منها
كي ترتقي
يانبراس فكري

ملامح الموروث الشعبي في القصة اليمنية

2 - 1

نحن هنا لسنا بصدد الحديث عن الادب الشعبي الذي افرد له رائي اليمن عبدالله البردوني سفرا سرد فيه فنونه في اليمن ، ومكانته المتميزة التي وصلت الى قلوب وعقول العامة من خلال الحكايات الشعبية والحكم وسائر فنون الادب الشعبي كالزوامل والمهاجل والاغاني الشعبية والامثال .

والتي اضحت فنوناً مستقله لها مكانتها التي تفوق سائر الفنون الادبية الحديثة من حيث الانتشار والتداول فمن لا يعرف حكم واشعار بن زايد والحميد بن منصور .

حيث يشير البردوني الى ان الاهمية والمكانة التي وصلت اليها فنون الادب الشعبي قد جعلتها تنتقل من مرحلة كانت فيها غير مدونة لتصبح اليوم محطا هاماً للتدوين وحتى التدريس في الجامعات بعد ما اسماه البردوني (الصراع العنيف بين الاكاديميين الشعبيين وبين الرسميين الاكاديميين) وهو الامر الذي ادى في نهاية المطاف الى تدريس الفنون الشعبية في الجامعات في الستينيات من القرن الفائت .

ويشير البردوني في كتابه القيم (فنون الادب الشعبي في اليمن) والذي يعد اهم المراجع واقيمها في موضوعه ، يشير رائي اليمن الى القصور في تدوين (فنون الشعب) التي ما زال اغلبها بدون تدوين ، مستثنياً جهود الاستاذ / علي محمد عبده التي ظهرت في آخر السبعينات من خلال كتابه (حكايات واساطير يمنية) والكتاب كما يصفه البردوني يحتوى على (اثنتي عشرة حكاية من الحكايات المسموعة) ويستعرض البردوني في هذا السياق نماذج من الحكايات الشعبية مع تقديم رؤيته النقدية النافذة فيها والتي قسمها الى عدة محاور تحدث فيها عن الارض والمرأة والجن والعشق اضافة الى النموذج الانساني في الحكايات الشعبية .

صالح علي البيضاني

السرد مقتربا من الحكاية الشعبية

اذا كان الموروث الشعبي عند رائي اليمن ليس موضوع هذا البحث الا انه خير فاتحة لموضوع بحثنا الذي يقترب ويبتعد في ذات الوقت من (الادب الشعبي) فهو وان كان يستمد مادته وروحه من الادب الشعبي الا انه يحاول تسليط الضوء على احد الفنون الادبية الحديثة التي نسج البعض الوانها من خامة التراث الشعبي بكل عناصرة الفنية الدافئة التي يحن اليها الكثير من حملة الاقلام ويستحضرونها عند الكتابة الادبية في مختلف صنوف الادب الذي سنقف اليوم عند شكله السردي المتمثل في القصة القصيرة ، والتي تأثرت الى حد كبير بالموروث الشعبي وعناصرة المختلفة مع تباين واضح من جيل قصصي الى آخر ومن قاص الى آخر في ذات الجيل .

عمالقة السرد اليمني والتراث انطلاقاً من السيرة الذاتية

لايمكن بأي حال من الاحوال - كما ارى - تقسيم كتاب القصة واهتماماتهم بالموروث الشعبي وجعلهم اياه عنصراً من عناصر البناء القصصي - تقسيما زمنياً فقد تداخلت المراحل الزمنية لكل قاص على حدة فنجد البعض من كتاب القصة قد استخدم عناصر الموروث الشعبي في مرحلة من مراحل تجربته الابداعية اما في بداية تجربته او بعد ذلك وهو الاغلب ، فكلما ذهب اندهاش الشاب المبدع بالتجارب العربية والعالمية التي كانت بداية علاقته بالابداع تأثراً ، زاد ارتباطه ببيئته الخاصة والتي يعد موروثها الشعبي ابرز سماتها ، فالاديب العالمي نجيب محفوظ الذي حصل على جائزة نوبل للاداب كان من اشد الكتاب ارتباطاً بموروث بلده فكتب عن حواري مصر وعاداتها وله مقولة شهيرة مفادها ان (المحلية هي الطريق الى العالمية) وليس العكس كما يظن بعض الكتاب الشباب الذين يعتقدون انهم بمجاراتهما للاداب العالمية من حيث الاقتداء بها شكلا ومضمونا يكونون قد سلكوا دربهم نحو الشهرة والعالمية والانفتاح على الاخر الذي لايشده نحو اداب الاخرين الا الرغبة في التعرف على ذلك الاخر الذي مازال مجهولاً بالنسبة اليه .

وكما قلنا فقد تداخلت المراحل في التجربة الابداعية الواحدة ، لدى اولئك الذين لمسنا وجود ملامح من الموروث الشعبي في ابداعاتهم السردية .. وهو الامر الذي يمكن تقصيه عند الرواد من كتاب القصة والذين مرت تجاربهم الابداعية الطويلة بمراحل يمكن تلمسها مثل عبدالله سالم باوزير ومحمد احمد عبدالولي وزيد مطيع دماج والذين سنحاول الحديث عن اثر الموروث الشعبي في ابداعاتهم وتأثر ذلك وارتباطه بسيرهم الذاتية من حيث النشأة ومدى الاحتكاك بالبيئة التي احاطت بهم وشكلت الملامح الاولى لوعيهم ونفسياتهم التي انعكست بدورها على ابداعاتهم .

واذا حاولنا المرور سريعاً على اثر الموروث الشعبي في ابسط حالاته في ابداعات العمالقة الثلاثة نجد ان هنالك تباينا واضحا يمكن ملاحظته ، وهو امتداد لذات التباين عايشوه في حياتهم فعند شيخ القصاصين / عبدالله سالم باوزير (١٩٣٨ - ٢٠٠٤م) تدرجت اهتمامات القاص بالموروث الشعبي الذي ظهر على شكل مفردات او حكايات او امثال وغير ذلك ، تدرجت بشكل تصاعدي ففي الحين الذي كانت فيه اعمال باوزير المبكرة واقعة تحت سطوة الاداب العالمية التي انكب على قراءتها خفت الواقع المحلي والبيئة الشعبية في اعماله كما نجد ذلك في (الرمال الذهبية) على سبيل المثال لتتصاعد بعد ذلك حتى وصلت ذروتها مع اكتمال نضج الحياة ونضج التجربة عند القاص الكبير والذي التحم بواقعة بشكل كبير ومباشر ابتعد فيه كثيراً عن الترميز الذي ظهر في بداياته الابداعية وهذه السطور لاتختزل بأي حال ان ثمة رحلة تحكي لاحد عمالقة الادب اليمني ، رحلة حافلة بالابداع والعطاء الادبي والانساني ، بدأت من مدينة غيل باوزير بمحافظة حضرموت حيث تشكلت الملامح الاولى لحياة عبدالله سالم باوزير ، الذي التحق بالمعهد الديني بالمدينة قبل ان يقرر فتح نافذة اخرى في وعيه نحو العالم ليشد رحاله الى مدينة عدن التي كانت مركزاً للتنوير وبوابة كبيرة الى العالم .. ففي هذه المدينة بدأت رحلة عبدالله سالم باوزير للتعرف على الحياة الحقيقية التي خاض غمارها باكراً مناضلاً في دروب الحياة وباحثاً عن الحقيقة بين رفوف المكتبات العامة بعدن ، وقد كانت الصدمة الهائلة التي لقيها جراء التعرف على الحياة المدنية ، كفيلة بجعله يتطلع للمزيد ، فخلال فترة قصيرة استطاع ان يعقد الصداقات الحميمة مع ابرز رواد القصة والرواية في العالم من خلال الاطلاع على كنوز الاداب العالمية في مكتبات عدن الزاخرة ، وهو الامر الذي جعل الملكات الادبية المخبوءة فيه تطفو الى السطح وتصقل لتظهر ابداعاً مكتوباً يحمل في طياته الخصوصية اليمنية والموروث اليمني الذي بدأ خافتاً كما قلنا ولكنه تصاعد مع تصاعد نضجه الابداعي ، وقد كانت اول قصة تم نشرها له بصحيفة (الطليعة) بالمكلا في ديسمبر من العام ١٩٦١م وهو لايزال في الثالثة والعشرين من العمر ، وتواصلت ريادة باوزير الادبية بعد ذلك ليكون صاحب ثالث مجموعة قصصية يمنية صدرت طبعتها الاولى في العام ١٩٦٥م (الرمال الذهبية) والتي اتت بعد مجموعتي صالح الدحان واحمد محفوظ عمر كتاب (اصدر صالح الدحان مجموعة - انت شيوعي) عدن دار البعث ١٩٥٦م واصدر احمد محفوظ عمر مجموعته الاولى : (الانذار الممزق) ، عدن مطبعة الجماهير ١٩٦٠م .

وعلى الرغم من تأثر باوزير بالقراءات الاولى وانتقاله الى المجتمع (العدني) الذي كان أكثر انفتاحا على العالم وثقافاته واكثر (مدنية) من مدينته الام (غيل باوزير) الا ن ذلك لم يمنع من وجود بعض النصوص التي بدأ تأثرها بالموروث الشعبي من خلال معالجة بعض تلك الموروثات السلبية وبما ان القاص الراحل قد كتب قصصه الاولى في مطلع الستينيات من القرن الفائت فقد كان يشاهد تفشي العديد من الموروثات الاجتماعية السيئة التي ساهم الجهل في تفاقمها ففي قصة (المبروك) يتحدث عن الدجل الذي يمارس ضد الناس البسطاء ، وايمان الناس به ، فقد استطاع ذلك الشخص الذي اطلق عليه البسطاء اسم (المبروك) ان يخدعهم ببركته الزائفة التي تناقل الناس احاديثها واعاجيبها عن قدرته الخارقة على الشفاء ومعالجة الامراض وطرد العفاريت .

عبدالله سالم باوزير

حتى ترك البسطاء من اهل القرية منازلهم ذات يوم بحجة ان العفاريت قد سيطرت عليها كما قال لهم (المبروك) المزعوم ، الذي طلب مبلغاً مالياً من كل واحد منهم لرشوة العفاريت لمغادرة القرية ، غير ان اهل القرية العاجزين عن دفع هذا المبلغ هم الذين يضطرون لمغادرة منازلهم في نهاية المطاف .. ليأتي الخلاص على يد (سعيد) الذي اتي من الخارج ليتحدى اساطير المبروك ويفضحها في نهاية المطاف .

وعلى ذات المنوال يتطرق باوزير في قصة (شجرة الشيطان) لزراعة (التنمباك) .

اما عند القاص الكبير / محمد احمد عبدالولي (١٩٤٠ - ١٩٧٣م) فإن الوضع قد يختلف فالخط الذي اتبعه عبدالولي في التعامل مع الموروث الشعبي (كمصطلح وحكاية ومثل) وهو الجانب الذي نبحث عن ملامحه في هذه الوريقات ، نقول ان هذا الخط سار موازيا لتجربة عبدالولي الابداعية اي انه لم يطرأ عليه الكثير من التحول صعوداً او هبوطاً وربما يعود ذلك للتأثير الكبير الذي خلفته الثقافة الافريقية في عقل وابداع عبدالولي فنجد انجذابه الخافت للثقافة الشعبية والموروث الشعبي عائد في الاساس للحنين الذي طالما كتب عنه في روح المهاجرين خارج الوطن ، فحنين عبدالولي في قصصه للموروث الشعبي هو امتداد لحالة الحنين لدى المهاجر اليمني لكل شيء في وطنه .

وقد حاول عبدالولي نقل البعض من حالات ذلك الحنين ورصعها بالبعض من مفردات الموروث الشعبي وان بدأ ساخراً عند بعضها ، غير مقتنع بالاخر ، وكأنه يحاول ان يذكر بما قد يراه حالة الاغتراب والنكران التي عاشها هو شخصاً كنموذج للكثير من الحالات التي ذهبت ولم تعد وان عادت (صدرت مجموعته الاولى - الارض ياسلمى) سنة ١٩٦٦م بيروت دار الادب والثانية (شيء اسمه الحنين) القاهرة مطبعة دار الهنا نشر دار الحديثة للطباعة والنشر بتعز نهاية ٧٢) . ولو رجعنا لسيرة عبدالولي ربما وجدنا المبرر لتراجع دور الموروث الشعبي في اعماله نظراً لابتعاده الطويل والمرير احيانا عن الوطن فقد ولد سنة ١٩٤٠م من أب يمني وام حبشية نشأ في اديس ابابا ودرس في مدرسة الجالية اليمنية بأديس ابابا ، ثم عاد الى اليمن سنة ١٩٥٤م وتزوج في العام نفسه سافر سنة ١٩٥٥م للدراسة ، ودرس في الازهر الشريف وفي مدرسة المعادي الثانوية طرد من مصر سنة ١٩٥٩م بتهمة الشيوعية سافر الى موسكو ودرس في معهد جوركي للآداب عاد الى اليمن بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م اشتغل في عدة مناصب في مكتب رئيس الجمهورية ثم قائم بأعمال سفارات الجمهورية اليمنية في موسكو وبرلين ومقديشو واخيراً مديراً عاماً لشركة الطيران اليمنية استقال من الوظائف الحكومية وافتتح دارا للنشر بتعز - سجن سنة ١٩٦٨م لمدة عام ثم ١٩٧٢م لمدة ثمانية اشهر مات محترقاً في حادثة الطائرة التي سقطت في ١٩٧٣/٤/٣٠م .

اما عند الوقوف عند تجربة المبدع الكبير / زيد مطيع دماج (١٩٤٣ - ٢٠٠٠م) فإننا ان جاز القول نجد انفسنا في منزلة بين منزلتي باوزير وعبدالولي ، فإذا كان دماج قد بدأ الاكثر التصاقا بالموروث الشعبي ، فإنه في ذات الوقت قد سار على ذات الخط تقريباً من حيث تأثره بالموروث الشعبي الذي نجده في (طاهش الحوبان) و (الراهينة) كما نجده في سائر اعماله الابداعية ، وان جاز لي التفسير كما فسرت من قبل فإن التأثير الكبير لعناصر الموروث الشعبي في اعمال دماج ربما يعود لعاملين هامين في حياته الشخصية والابداعية ، فمن الناحية الشخصية فقد كانت البيئة التي احاطت بزيد مطيع دماج اكثر خصوبة من حيث تأثرها بالتراث الشعبي ، فهي لم تتأثر كثيراً بعوامل المدنية كما هو في حالة باوزير الذي سافرا مبكراً الى (عدن) مبتعداً عن (غيل باوزير) البيئة الخصبة بالتراث الذي عاد باوزير ليجتر منه بعد ذلك .

اما في حالة عبدالولي فقد اشرنا للتأثر الكبير الذي قاد مسيرته الابداعية جراء الهجرة الافريقية وما رافقها من عوامل نفسية وثقافية اثرت في شخصيته ومن ثم في ابداعه .

وفي اطلالة سريعة على السيرة الذاتية لدماج نجد انه تلقى تعليمه الاولى في المعلامة (الكتاب) مع اقرانه في القرية فحفظ القرآن الكريم وبعد ذلك تولى والده عملية تعليمه وتثقيفه من مكتبته الخاصة فقرأ كتب الادب والتاريخ والسياسة وكان من اهمها (روايات الاسلام) لجرجي زيدان ، ليلتحق بعد ذلك بالمدرسة الاحمدية في تعز ويحصل فيها على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٥٧م .

وقد اسهمت تلك المرحلة في تشبع دماج بالتراث الشعبي فكتب اهم اعماله (الرهينة) من واقع تأثره بظلال قلعة (القاهرة) في مدينة تعز الحالمة .

اما العامل الثاني وهو الابداعي الذي وثق من علاقة دماج ببيئته الشعبية وانعكاس ذلك على اعماله المختلفة فهو ان دماج ربما يكون قد بدأ الكتابة الابداعية بالشكل المعروف في فترة متقدمة من عمره على عكس باوزير وعبدالولي اللذان بدأ كل منهما الكتابة في فترة ربما تكون مبكرة بالنسبة لدماج .. (نشر باوزير اول نصوصه وهو في الثالثة والعشرين من العمر وبدأ عبدالولي كتابة القصة وهو مايزال في المرحلة الاعدادية بينما نشر دماج اول اعماله وهو في العقد الثالث) وربما ذلك مايفسر حالة النضج والتقارب من حيث الشكل والمضمون والمستوى الابداعي في معظم اعمال زيد مطيع دماج وهو ماقد نسميه الانصهار الابداعي الذي صهر التجربة الابداعية في قالب واحد نتيجة العوامل المحيطة بهذا القالب الذي لم يتأثر كثيراً بتقلبات العمر ومراحلة ، وتغيرات التجارب والخبرات التي تمر بمراحل مختلفة عن سابقاتها وعن التي تليها .

ويقول الدكتور عبدالعزيز المقالح في هذا الشأن : (لم يكن زيد يكتب الا بعد اختزان واستبطان تتمكن التجربة خلالهما من امتلاك تكوينها وحينما تصل ذروتها يعكف عليها ليضعها على الورق) .

ويمكن ان نشير في هذا المقام الى الآراء النقدية اثارتها المجموعة القصصية الاولى لدماج (طاهش الحوبان - ١٩٧٣م) والتي قال النقاد ان ابرز السمات الموضوعية في هذه المجموعة تمثلت فيمايلي اولاً : المحلية . ثانياً : الريفية . ثالثاً : الثورية . والمحلية والريفية بطبيعة الحال امتداد للموروث الشعبي الذي تشرب منه دماج طوال حياته .

وعند مانتحدث عن رواد السرد ويكون محور حديثنا عن مكانه الموروث الشعبي في ابداعاتهم فإنه يجب كذلك ان لا نغفل بعض الاسماء ان لم نستطع اعطائها حقها مثل باصديق وسعيد عولقي وميفع عبدالرحمن ومحمد مثنى واحمد محفوظ عمر وصالح باعامر وعبدالرحمن عبدالخالق وغيرهم .

قصة قصيرة

كهف النور

نبيل احمد الحضر

دخل وضاح كهف النور ، ذلك الكهف الذي اسماه سكان القرية بهذا الاسم بسبب انه في كل ليلة اثنين يشع نورا وتنساب الالحان والزغاريد ودقات الطبول من داخله منذ القدم كان هذا التقليد يتكرر كل اسبوع فيما اصبح يعرفه القرويون بعرس الجن ، وقد كان يرغب في مشاهدة هذا العرس الاسطوري المتكرر ، النور يهرب والظلام يتقدم وساعات المغرب تبدأ اولى فقرات العرس ، يقال ان العديد من الرجال دخلوا الى الكهف في مرات متباعدة كل جيل كان هناك من يستبد به الفضول الذي كان يقذف به في النهاية الى متاهات الجنون ، كانوا يطلبون الاستمتاع لليلة واحدة فكسبوا المتعة وخلو البال طوال العمر .

وضاح اول طفل يدخل الى هذا الكهف وقد اشتهر بالمشاكس فهو مثلاً لايلعب الكرة وان لعبها تكسرت ارجل معظم اللاعبين حتى من فريقية كسر من النوافذ الكثير ومن الجرار الكثير ووالده كلما وجدة ، ان وجده ! صاح مشيراً اليه : مخرب غلب الف مدار والدته كلما وجدته اشارت اليه : هذا جن مصور .

(٢)

كان كهف النور مظلماً ، تكدست بداخله اكوام من الحجارة المتراصة بشكل غريب كأنها مساند يستند اليها الجن في مقايلهم ، استند على كتله صخرية مقلدا جلسة والدة المعتادة في المنزل مرت الساعات وهو ساكن في مكانة ، لا احد يعرف اين هو ، لابد ان والدته الآن قد فقدت عقلها وهي تبحث عنه في كل مكان في الساعة السابعة انفتحت نوافذ كثيرة في جدار الكهف وخرج منها الى ساحته مجموعات من ذكور واناث واطفال يحركون سلاسل ويهزجون بترانيم خلابة .

ودوت زغاريد ذكور الجن وتقلدت الاناث اسلحة من حجارة وبدأت ترقص رقصة البرع العروس غاية في الجمال وزوجها فرج ، خجول ، كانت كل فترة تقفز الى حلقة الرقص بسيفها الحجري الذي تحمله على كتفها وترقص لفترة ثم تعود ربما لم ينتبه الجن للبشري الساكن في وسطهم ،او انتبهوا ولكنهم تجاهلوا الامر ، وحدهم الاطفال من انتبهوا اليه تقدم من وضاح جني صغير يحمل بين يديه طعام مما يأكلون ولكنه رفضه فقد كان منظره غريباً ، واجتذبه الاطفال وبدأوا يرقصون حول !! العروس المتربعة على الكتلة الصخرية وبداء (دوشان الجن) في الصراخ معددا مناقب العروس واهلها وقبيلتها (وتقدمت من الفتحات الكثير من الفتيات يحملن اطعمة لم تكن لتوجد في ليالي) الف ليلة وليلة كانت فعلا ليلة من الف ليلة ، رقص ، اطعمة غريبة ،حركات بهلوانية ، هرج ومرج ، دخول وخروج من الفتحات الوهمية التي انفتح في الصخر حتى بدأ النور في الانبلاج فاختفوا تدريجياً خلف الفتحة وعند اول شعاع نور اختفى اخر الجن من ردهة الكهف .

جذاب

قُبلة وفاء ومعاهدة على تواصل الحب

السيد الرئيس يدلي بحديث لصحيفة الجمهوريه القاهريه
14 - OCTOBER

نادرة عبد القدوس

يقف المرء دائما حائراً في لحظة البوح بما يجيش في صدره من عواطف جياشة لمن يحب، ويحاول الكلام فيجد اللسان يتلعثم والذهن مرهق من فوضى الحروف التي تأبى أن تنتظم في سياقها لترسم الكلمات التي يروم إهداءها الحبيب .

ومن أحبها تتجلى أمامي في ريعان شبابها شامخة كشموخ جبال شمسان الحارس والحاضن لمهر أروى الملكة العروس التي عشقت عدن فكانت مهرها الغالي ..

من أحبها تُعَد مدرستي الأولى في بلاط صاحبة الجلالة، التي تعلمت في فصولها الدراسية أولى أبجديات مهنة الصحافة ، ولا أدري لماذا يطلقون عليها مهنة المتاعب ! فأي متاعب هذه التي تصيبنا من وراء المتعة واللذة في استقاء المعلومات و الجري وراء الأحداث وتتبع الأخبار و سبر أغوار المجهول للكشف عن الحقائق؟! وكانت البيت الثاني الذي أحببتُ جدرانه وأرضيته الأسمنتية منذ اليوم الأول الذي غاص قلبي قبل جسدي في أرجائه .. وما أجمل اللحظات وأمتعها تلك التي كنت أقفها في البهو العلوي لمبنى مدرستي الحبيبة صحيفة١٤ أكتوبر وأرقب بحر صيره التي كنت أهيم بأمواجه المرتطمة في السور الخلفي للمبنى ، وكم من كلام جميل دار بيني وبين تلك الأمواج التي ذهبت إلى غير رجعة ..

من أحبها علمتني تذوق الحرف وصنع الكلمة و تكوين الجملة .. علمتني فنون طبخ الأطباق الشهية واحترام المتلقي ، وعلمتني نكران الذات واحترام الآخرين وتقليص المسافات بين الناس والاقتراب قدر الإمكان منهم ، وعلمتني السعي الحثيث من اجل أن يكون للكاتب قيمة في مجتمعه ، كما علمتني الصدق في تناول القضايا للوصول إلى الحقيقة .. فكيف بعد كل هذا لا أعشقها ؟ ولا زلت أتعبد في محرابها ..

من أحبها بادلتني الحب منذ صباي وأنا في التاسعة عشرة من عمري حين كنت أسرق السويعات الأخيرة من الظهيرة بعد الانتهاء من الدوام المدرسي وانحرف عن طريق العودة إلى البيت لألتقيها ، ولم أكن أشعر بتعب السير إليها راجلة من مدرستي (ثانوية البنات في الطويلة) بجانب صهاريج كريتر إلى منطقة" الرزمت " حيث قصر السلطان سابقاً وموقع الصحيفة فيما بعد . كان كل تعب أو إرهاق يتلاشى أول ما يتراءى لي من بعيد المنظر البديع للقصر المنيف .. ويرقص قلبي طربا على نبضاته المتسارعة المتسابقة مع سرعة ساقيَ نحو موقع حبيبتي ..ولم اكن أفكر بنتيجة تأخري عن البيت التي كانت دائما ليست لصالحي .

هنا أرى فطاحله الحرف والكلمة .. فهذا هوسالم باجميل ومحمد عمر بحاح وسالم عمر حسين _ رحمه الله _ ومحمد عبدالله مخشف ومحمد عبد الله فارع وعلي فارع الشيباني رحمهما الله وشكيب عوض، الذي ندعو له بالشفاء العاجل والعودة إلينا، وغازي عبد الملك ورضية عبد الكريم شاهر ، وعبدالله الضراسي، وسعاد احمد، ومحبوب علي وعلي الضحياني وعبد الرحيم سلام القرشي - رحمه الله _ وفضل عوزر، ذلك العجوز الشاب المتألق دائما والموزع نكاته وضحكاته على الآخرين بعفوية أبناء لحج الخضيرة _ رحمة الله عليه _ وهنا أيضاً محمد جازم وعبد الله عبد الإله وغيرهم كثر، للأسف لا تسعفني الذاكرة التي يبدو شاخت قليلاً مع تقدم العمر، والأخيران كانا أول من قرأ كتاباتي وأثنيا عليها ، وكانت شعراً وبعض الخواطر النثرية، وأول من طلبا مني خوض تجربة الكتابة في الصحيفة .. وكانت البداية.. في ١٥ يوليو ١٩٧٤م.. ثم تتالت الكتابات لأجد نفسي أتطرق إلى موضوع لم يطرق من قبل في صحافتنا فيه بعض الجرأة في التناول لقضايا المجتمع المختفية وراء التابوت السياسي فصدرت سريعاً أوامر من الرئاسة(القيادة السياسية) بوقف الملف وعدم التطرق إلى مثل هذه الأمور وإلا .... وأغلق الستار قبل النهاية بأمر من رئيس التحرير الذي قال لي بأسلوب الأب المفزوع على ابنته " كنت سباقة ولن أنسى لك ذلك ولكن الظرف قاهر فلا تواصلي الكتابة في هذا الشأن" وفهمت الدرس جيداً وتعلمت متى تكون الحقيقة ، أحياناً ، كالملح المنثور على الجرح المفتوح !! وجاء العام التالي لأزداد شغفاً في اغتراف المزيد من المعرفة والاستزادة من الرواد الصحفيين وكان عبد الله شرف واحداً منهم الذي اقترح علي إجراء الاستطلاع الصحفي الذي لم يزل جديداً على صفحات صحيفتنا ، حينها أبد الفكرة لحظتها أستاذنا شكيب عوض _ الذي علمني درساً آخر وهو الدقة في المعلومة قبل النشر، ولهذا الموضوع قصة سأستدعيها فيما بعد من الذاكرة _ وكانت الفكرة تتركز في إجراء استطلاع صحفي عن المرأة العاملة خاصة وأن أبواب العمل في منتصف السبعينات فتحت على مصراعيها أمام المرأة اليمنية لأول مرة منذ الاستقلال الوطني ، كما إن الموضوع جديد على الصحافة ولم يتطرق إليه أحد .. في تلك الأثناء قدمت إلى شبكة الصحفيين الشباب العاشق لمهنة البحث عن الحقائق الشابة نجاة غابري فشاركتني الاستطلاع الذي استمر ينشر في حلقات عدة تناوله برنامج" الصحافة تقول" الإذاعي في كل يوم تنشر حلقة من حلقاته .. وأضحت نجاة صديقة لي حتى اليوم والتي أرجو من الله أن يمن عليها بالشفاء العاجل من العلة التي لازمتها منذ سنوات ..

وتوالت السنون وتفرق الشباب وكل راح في طريق .. فمنا من ذهب للدراسة ومنا من واصل العمل في الصحيفة ومنا من اختار مهنة أخرى كصديقتي نجاة ، وهناك من اختار العمل في تليفزيون عدن مثل الزميل معروف بامرحول وهناك من اختار الأدب والتفرغ له مثل كمال الدين محمد الذي نتمنى أن يخرج من صمته الطويل..

اللهفة لرؤية صحيفتي الحبيبة لم تنته. ففي موسكو أضيف شوقي لها لجملة الاشتياقات التي كانت تتنازع قلبي إلى الوطن والأهل والأحبة، أتلقى الصحيفة وأقرأها بذات اللهفة التي أقرأ بها رسائلهم، كانت تشكل بالنسبة لي الوجه الآخر للبلد الحبيب ، وأرى فيها مستقبلا أحلم به ، أراها وأنا في قاعة محاضرات الصحافة فأحس أنني أسير في الطريق إليها.

وكم كانت بالنسبة لنا كمائدة يجتمع عليها الأصدقاء وأبناء البلد في الغربة ليتبادلوا الآراء بما جاء فيها. كانت واحداً من أهم مصادر معلوماتنا عن الوطن وحتى عن العالم. ولم تكن ثورة الاتصالات قد حدثت بعد في أوائل الثمانينات. فنرشف منها قهوتنا العدنية اللذيذة ، تنبه أعصابنا وتوقظ أحاسيسنا نحو ما يجري حولنا. نوزعها على أصدقائنا من العرب الذين أضحوا يتلهفون عليها مثلنا نحن اليمنيين في غربتنا . وأذكر كيف كانت صديقتي الأثيرة في موسكو ، التي أسبقها عامين في مدرجات كلية الصحافة في جامعة موسكو ،" وداد البرغوثي" بشغف تسائلني عن الصحيفة وتترقب إحضاري لها لتقرأها - فالفلسطينيون كانوا أقرب الناس إلينا نحن اليمانيين بعد السودانيين _ ولا زالت وداد تتابع أكتوبر ! وعندما قفزت صحيفتنا باقتدار إلى فضاء "الإنترنت" أصبحنا نخوض نقاشاً في كثير من القضايا التي تنشرها الصحيفة عبر التراسل الإلكتروني ، فأنا ووداد لم نقطع تواصلنا وبتحد لكثير من المعوقات منذ ٢٧ عاماً ... وإن كنا لم نلتق منذ الافتراق عام ١٩٨٢م . وها هي الأخرى تكتب في صحيفتنا التي جمعتنا في الغربة .. بل إن في بعض الأسطر من هذا المقال شيئاً من نفحات الماضي أفادتني به صديقتي الحبيبة وداد .

لمن أحب وأعشق وسأظل في محرابها عاشقة قبلة الوفاء وكلمة عهد صادقة نابعة من شغاف القلب بأنني سأبقى لك لأنني أحيا بك وسأظل بتلابيبك متشبثة .. لن أتركك إلا حين يؤذن الرحيل عن الدنيا الفانية ... وتهنئة خالصة بعيد ميلادك ومزيداً من التألق والتجدد والتطور وعسى من يعمل لأجلك ويكتب في صفحات وجهك المشرق الزاهي أن ينال الرضا ويسعد في حياته المعيشية ليقدم الأكثر والأفضل مقابل ما يقدمه من حب صادق خالٍ من أي زيف أو نفاق أو تزلف ... وتسلمي ياحبيبتنا من أي مكروه.

Nadra1@maktoob.com